وقد أعجبَ الملكُ بذكاءِ الفتى وكمالِ آدابهِ ، وسلامةِ ذوقِهِ ، فعرضَ عليهِ أن يكونَ « ياوراً » للأميرةِ فيروز . فسُرَّ الفتى لهذا الحظِّ العظيمِ الذى نالهُ بفضلِ « بِسْبس » . وإعزازاً لبِسْبِس ، اشترى لهُ سيِّدُهُ حذاءً جديداً أحمرَ مُرَصَّعاً بالجواهر . وصـــار يُقدِّمُ لهُ من الطعامِ الفيرانَ السَّمينةَ ، ومن الشرابِ اللبنَ الخالصَ فى أوانٍ من ذهب .

# ابن التـــاجر والعبد

يُحكَى أنّ تاجراً من كِبارِ التُّجّارِ كان له ابنٌ وحيد يُسمَّى حسَناً . وقد عُنِيَ بتربيتِهِ وتهذيبِهِ حتّى صارَ موضِعَ إعجابِ كلِّ مَنْ رآهُ . فلمّا كَبِرَ أظهرَ مَيْلاً للتجارةِ ، ولَمْ يُرِدْ أن يعملَ فى متجرِ أبيهِ ، بلْ فضَّلَ الاعتمادَ على نفسِهِ . ولذلك طلبَ من أبيهِ مالاً ليتاجرَ بهِ ، فأعطاهُ أبوهُ مِائَةَ دينارٍ ، فأخذها حسنٌ ، وسافرَ طلباً للرِّزق .

وبعدَ أيامٍ نزلَ بِبلدةٍ ، وأخذَ يسيرُ فى شوارعِها يبحثُ عن بضاعةٍ يشتريها . فمرَّ على رجلٍ وامرأةٍ وثلاثةِ أطفالٍ يبكونَ . فسألهُمْ عن سببِ بُكائهم فقالَ الرجلُ إنَّهُ عطّارٌ ، وقد شبّتِ النارُ فى حانوتِهِ فأحرقتْ جميعَ ما فيهِ ولم يَبْقَ لهُ سبيلٌ لِكسْبِ قوتِهِ وقوتِ عيالِهِ . فلمّا سمعَ حسنٌ ذلك ، أخذتْهُ الشفقةُ على هذه الأسْرةِ البائسةِ ، وفضَّلَ أنْ يُعطِيَها ما معهُ من الدنانيرِ ، وهو موقنٌ أنَّهُ إذا رجعَ إلى أبيهِ ، وقصَّ عليهِ قِصَّتَهُ لَنْ يبخلَ عليهِ بمثلِها .

فقالَ للرَّجُلِ : « هاكَ مِائةَ دينارٍ ، فافتحْ حانوتاً جديداً ترتزقُ منهُ » . فلَمْ يكدِ الرجلُ يُصدِّقُ أذنيهِ ، لولا أنّهُ رأى حسناً يُقدِّمُ لهُ المبلغَ ، فأخذَهُ ، ومالَ على يدِ حسنٍ ، فقبَّلَها ، وأكثرَ منَ الدعاءِ لهُ .

وعادَ حسنٌ إلى أبيهِ ، وقصَّ عليهِ قِصَّتَهُ . فقالَ لهُ أبوه : « باركَ اللهُ لى فيكَ يابُنَيَّ ! لقد أنقذْتَ أسْرةً مِنْ ضيقٍ وقعتْ فيهِ ، ولكَ على فِعلِكَ هذا منَ اللهِ ثوابٌ عظيمٌ . أمّا الدنانيرُ التى تصدَّقْتَ بهـــا ، فهاكَ بدَلَها مِائتينِ » . فأخذَ حسنٌ المبلغَ مِن أبيهِ شاكراً ، وسافرَ مرَّةً أخرى .

ومرَّ فى طريقِهِ على بلدةٍ ، فرأى فى سوقِها شخصاً معهُ عبدٌ ، وهو يُنادِي : « يا مَنْ يشترِي العبدَ وفيهِ عيبٌ ! » . فقالَ حسنٌ : « وما عيبُهُ ؟ » قال الرجلُ : « إنّ على مَنْ يشتريهِ أنْ يُطيعَ جميعَ أوامرِهِ ، وإذا خالفَ لهُ

أمرًا قطعَ العبدُ رأسَهُ » . فقالَ حسنٌ : « ما سمعتُ قبلَ اليومِ أنَّ العبدَ هو الذى يأمرُ ، والسيدَ هو الذى يُطيعُ ! ومع ذلكَ فسأشتريهِ لأرى ما يكونُ مِنْ أمرِهِ ! » وسألَ عن ثمنِهِ ، فقالَ لهُ الرجلُ : « إنَّ ثمنَهُ مِائةُ دينارٍ » . فدفعَها حسنٌ ، وأخذَ العبدَ .

وبعدَ أنْ سارا قليلاً ، وصَلا إلى مُلتقَى ثلاثةِ طُرُقٍ ، ووَجدَا عِندَهُ شيخًا جالسًا ، فسألاهُ عن تلكَ الطُرُقِ ، فقالَ : « هذا طريقُ السلامةِ ، وهـذا طريقُ النَّدامةِ ، وأمَّا الثالثُ فهو طريقُ مَنْ ذهبَ فيهِ لا يعودُ » . فقالَ العبدُ لسيِّدِهِ : « سِرْ بنا فى الطريقِ الذى لا يعودُ مَنْ يذهبُ فيهِ » . فدُهِشَ حسنٌ ، وقالَ للعبـدِ : « هَلْ جُنِنْتَ يارجُلُ ، حتى تتركَ طريقَ السلامـةِ ، وتذهبَ بنا فى طريقِ الهلاكِ ؟ » قالَ العبدُ : « ألَمْ تُعاهدْني على ألاَّ تُخالِفَ لى أمرًا ؟ » عِندَ ذلكَ سارَ حسنٌ معهُ فى الطريقِ الذى اختارَهُ .

ووَصَلا قبلَ الغروبِ إلى مدينةٍ كبيرةٍ ، وجَدا علَى بابِها تِسعةً وثلاثينَ رأسًا آدميةً مُعلقةً . ونظرَ حسنٌ حولَهُ فرأى خبازًا يشتغِلُ فى مَخبزِهِ ، فذهبَ إليهِ ، وسألَهُ عنْ هـذهِ الرُّءوسِ ، فنظرَ إليهِ الخبَّازُ نظرةً غريبـةً ، وقالَ : « إنَّ أُقةَ الخبزِ ثمنُها قرشٌ ونصفٌ ، وأُقةَ الدقيقِ ثمنُها قرشٌ » ثمَّ تركَهُ إلى عملِهِ . فدهِشَ حسنٌ لهذا الجوابِ . ورأى فاكِهانيًا يمرُّ أمامَهُ ، فسألَهُ عنِ الرُّءوسِ ، فأجابَهُ قائلًا : « إنَّ ثمنَ أُقةِ العنبِ قرشٌ ونصفٌ ، وثمنَ أُقةِ التينِ قرشٌ ، وثمنَ البطيخةِ قرشانِ » فزادَ دَهَشُ حسنٍ ، وذهبَ إلى بدَّالٍ قريبٍ لعَلَّهُ يعرفُ منهُ قِصَّةَ هذهِ الرُّءوسِ . فلمَّا سألَهُ عنها ، قالَ البدَّالُ : « عِندى جُبْنٌ طازَجٌ ، وزيتونٌ من أجودِ الأصنافِ ، وحلْوَى لا مثيلَ لها فى هذهِ البلدةِ » . ثمَّ تركَهُ ، وأخذَ يُرتِّبُ بضاعتَهُ علَى الرُّفوفِ . واستمرَّ حسنٌ يسألُ كلَّ مَنْ يراهُ عن تلكَ الرُّءوسِ ، ولكنَّهُ لم يظفرْ بجوابٍ شافٍ .

وأخيرًا وصلَ هو والعبدُ إلى دكانِ حلاَّقٍ . فدخلاهُ ، وطلبَ حسنٌ من الحلاقِ أنْ يحلِقَ لهُ ذقنَهُ . وفى أثناءِ ذلكَ سألهُ عَنِ الرُّءوسِ ، فنظرَ الحلاقُ هُنا وهُنَاكَ ، ولمَّا لم يجدْ أحدًا يسمعُ كلامَهُ سوى حَسَنٍ والعبـدِ ، قال له : « إنَّ مَلِكَ هـذه البلادِ له بنتٌ بارعةُ الجمالِ ، ولـكنَّها تحتَ تأثيرِ سحرٍ قويّ أفقدَها النُّطقَ . وقـد اشترطَ الملكُ علَى كل من يخطُبُها أن يُقابلَها ، فإذا لم ينجحْ فى فكِّ هذا السِّحرِ قَطَعَ رأسَهُ ، وعلَّقَهُ علَى بابِ المدينةِ . وقد تقدَّمَ أصحابُ هذه الرُّءوسِ لزواجِها ، ولكنها لم تُـكلِّمْ أحدًا منهمْ » .

ثم خرجَ حسنٌ معَ عبدِهِ ، فقال لهُ العبدُ : « اذهبْ فى الغدِ إلى الملكِ ، واطلُبْ منهُ يدَ ابنتِهِ » . فقالَ حسنٌ : ألا تخشَى أنْ يُصيبَنى ما أصابَ أولئكَ التسعةَ والثلاثينَ ؟ » قال العبدُ : « افعلْ ما آمرُكَ به » .

ورأى حسن أنّ رأسه مقطوع ، سواء أأطاع أمر العبد أم عصاه . فأسلم أمره إلى الله ، وذهب صباح اليوم التالى إلى قصر الملك ، وخطب ابنته .

ولما جاءت ليلة الزفاف كان حسن كثير الاضطراب والخوف ، وجعل يندب سوء حظه الذى زين له شراء ذلك العبد . ولكن العبد قال له : « لا تخف يا سيدى ، فلن ينالك سوء إذا استمعت لما أقوله لك ، ونفذته بدقة » . قال حسن : « قل ، فإنى مصغ إليك » . فقال العبد : « عند ما تدخل عند الأميرة ألق عليها التحية ، فإذا لم ترد عليك فاجلس وقل : « أسعد الله مساءك ( يا شمعدان ) الملوك » . وسيرد عليك ( الشمعدان ) التحية ، ويطلب منك أن تقص عليه قصة . فقل له : « إن القصص على صاحب البيت ، لا على الضيف » .

ودخل حسن على عروسه ، وعمل ما أشار به العبد ، فبدأ ( الشمعدان ) أن يقص عليه القصة الآتية : —

كان لاحد سلاطين الهنود ثلاثة أولاد ، وقعوا جميعاً فى حب ابنة عمهم الأميرة نور النهار . وذات يوم دعاهم أبوهم ، وقال لهم : « إنكم يا أولادى تعلمون شغفى بجمع التحف النادرة ، فمن يأتنى منكم بأغرب تحفة فى الدنيا زوجته الأميرة نور النهار » .

فاتفق الإخوة الثلاثة على أن يلتقوا بعد عام فى نزل معين خارج المدينة . ثم سار كل منهم فى طريق مخالف لطريق الآخرين ، يبحث فى الدنيا عن التحفة التى تنيله نور النهار .

فأما أكبرهم الأمير حسين فقد ذهب إلى بسنجار ، حيث وجد دلالا يبيع سجادة بأربعين كيسا من الذهب فقال الأمير : « ولكن هذا ثمن باهظ لأجل سجادة » : فقال الدلال : « كلا ، اجلس عليها ، واطلب أن تكون فى أى مكان تريد » . فجلس عليها ، وطلب أن يكون فى حجرة نومه . وفى لمح البصر وجد نفسه فيها ، ثم طلب أن يعود إلى الدلال فرجع بعد لحظة حيث كان ، ودفع له أربعين كيسا من الذهب ثمنا لهذه التحفة العجيبة ، وهو يقول فى نفسه ، إنه لا شك فائز بنور النهار . وجلس على السجادة ، وطلب أن يكون فى النزل . وفى لمح البصر كان هناك . وبقى ينتظر أخويه .

أما الأخ الثانى الأمير علي فقد ذهب إلى شيراز حيث وجد دلالا يبيع ( منظارا ) بأربعين كيسا من الذهب . فقال : « ولكن هذا ثمن باهظ لهذا ( المنظار ) » ! فقال الدلال كلا : « انظر خلاله ، وتمن أن ترى ما تشاء » فنظر فيه الأمير ، وتمنى أن يرى نور النهار . وفى الحال رآها بين جواريها فى قصر أبيه السلطان ، فدفع للدلال ما طلب ثمنا لهذه التحفة العجيبة ، وهو يقول فى نفسه ، إنه لا شك فائز بنور النهار . وعاد مسرعا إلى النزل ، وبقى مع أخيه الأمير حسين فى انتظار ثالثهم .

أمّا الأميرُ أحمدُ فقد ذهبَ إلى سمرقندَ حيثُ وجدَ دلالاً يبيعُ تفاحةً بأربعينَ كيساً من الذهبِ. فقالَ: «ولكنْ هذا ثمنٌ باهظٌ لتفاحةٍ»! فقالَ الدلّالُ: «كلّا، قدِّمْ هذهِ التفاحةَ لأنفِ شخصٍ على وشكِ الموتِ ترَ ما يكونُ». فسألَ عنْ رجُلٍ في النزعِ الأخيرِ، وقرّبَ إلى أنفهِ التفاحةَ، فعادتْ إليهِ صحّتُهُ وعافيتُهُ في الحالِ. فدفعَ للدلّالِ أربعينَ كيساً منَ الذهبِ ثمناً لهذهِ التحفةِ العجيبةِ، وهوَ يقولُ في نفسِهِ، إنه لاشكَّ فائزٌ بنورِ النهارِ. وعادَ إلى النُّزُلِ. وعرضَ كلٌّ تحفتَهُ العجيبةَ. فقالَ الأميرُ حُسَيْنٌ: «منَ الصعبِ الحكمُ على أيِّ هذهِ التحفِ أعجبُ منَ الأُخرى» وتناولَ (المِنظارَ)، وتمنّى أنْ يرى الأميرةَ نورَ النهارِ، فصرخَ منْ هولِ ما رأى، إذْ وجدَها طريحةَ الفراشِ، تُنتابُ سكراتِ الموتِ، وحولَها وصيفاتُها يبكينَ. فقالَ الأميرُ أحمدُ: «أسرعُوا وامتطُوا السجّادةَ» وفي لمحِ البصرِ كانوا بجانبِ فراشِ الأميرةِ. فقدّمَ الأميرُ أحمدُ تفاحتَهُ نحوَ أنفِها، فعادتْ إليها صحّتُها في الحالِ.

وطلبَ الأمراءُ ... أنْ يحكمَ ... بالشمعدانِ. ثمّ قالَ (الشمعدانُ): «فلِمَنْ تظنُّونَ أنَّ السلطانَ قد حكَمَ؟» فقالَ حسَنٌ: «لاشكَّ أنهُ حكمَ لصاحبِ (المِنظارِ). فلولاهُ لما علِموا بمرضِ نورِ النهارِ». فردّتِ الأميرةُ قائلةً: «كلّا! لابدَّ أنهُ حكمَ لصاحبِ التفاحةِ!! فلولاها لما عاشتْ نورُ النهارِ». فقالَ (الشمعدانُ): «هكذا قالَ الأميرانِ عليٌّ وأحمدُ. ولكنَّ السلطانَ ردَّ عليهِما قائلاً: «ولولا السجّادةُ يا ولديَّ ما تمكّنتُم منَ العودةِ بالسرعةِ الكافيةِ لإنقاذِها. فلِكلٍّ منكم نصيبٌ مساوٍ لنصيبِ الآخرِ في نجاتِها. ولذلكَ أقترحُ امتحانَكم في الرمايةِ. فليأخذْ كلٌّ منكمْ قوساً ونُشّاباً، ولنخرُجْ إلى السهلِ الواسعِ. فمَنْ أرسلَ سهمَهُ إلى أبعدِ مسافةٍ كانتِ الأميرةُ لهُ»

فهرعَ الناسُ منْ كلِّ جانبٍ لرؤيةِ المباراةِ. فرمى الأميرُ حُسَيْنٌ سهمَهُ بعيداً، ورمى الأميرُ عليٌّ سهمَهُ أبعدَ